

التربية والحجاب

من خمس وثلاثين
سنن في المقتطف

لقاسم امين

لو لم يكن في الحجاب عيب الا انه منافذ للحرية الانسانية وانه صار للمرأة الى حيث يستحيل عليها ان تستع بالحقوق التي حولها لها الشريعة النساء والقوانين الوضعية فجعلها في حكم انصار لا تستطيع ان تباشر عملاً ما بنفسها مع ان التشريع يعترف لها في تدبير شؤونها المشائية بكفاية مساوية لكفاية الرجل وجعلها سجينه مع ان القانون يعتبرها من الحرية ما يعتبره للرجل — لو لم يكن في الحجاب الا هذا العيب لكن في وحده في مقته وفي ان يفر منه كل طبع شرذ فيه الميل الى احترام الحقوق والشعور بلذة الحرية . ولكن الضرر الاعظم للحجاب فوق جميع ما سبق هو انه يحول بين المرأة واستكمال تربيتها اذا تقرر ان تربية المرأة من الضرورات التي لا يمكن ان يستغنى عنها فاهي التربية التي تناسبها هل يناسبها تربية كتزية الرجل او تخصص بتربية اخرى ؟ وهل يمكن تربيتها مع الحجاب او لا بد فيها من ابطاله ؟ وهل يسلفها على قواعد تؤخذ من العلوم القرية الحديثة او يرجع فيها الى اصول المدينة الاسلامية القديمة ؟

في المسألة الاولى — لا نجد من الصواب ان تنقص تربية المرأة عن تربية الرجل . اما من جهة التربية الجسمية فلان المرأة محتاجة الى الصحة كالرجل فيجب ان تتعود الرياضة كما تفعل النساء الغربيات اللواتي يشاركن آقاربهن الرجال في اغلب الرياضات البدنية . ويلزم ان تتعاد ذلك من اول نشأتها وتستر عليه من غير اقطاع والا ضعفتم همتها وصارت عرضة للامراض . ذلك لان التوايس الطبيعية تقضي بضرورة التوازن بين ما يكسبه الجسم وما يفقده بحيث لو احتل هذا التوازن فدت الصحة واحتل لظامها . والامراض التي تصيب الانسان بسبب اهماله

استهان قواء الجسية ليست بأقل عدداً ولا بأخف ضرراً من الامراض التي تصيب من ينفق قوته ولا يروض بالتبذية ما فقد منها. ثم انب ما تقاسيه المرأة من الآلام والمشقات حين الولادة في مرة واحدة وما يزيد عن ما يصابه الرجل من المتاعب طول حياته ولا يجتنبه من الفناء الأقيوات المزاج صحبات الاجسام كغناء القرى المتوَدَّات أصل البدني المتشمتات بهواء التي. أما نساء لندن المحرومات من الحركة والتمتع بالنسج والهواء فلا قدرة لهن على احتمال هذه المشقات ولذلك فإن اكثرهن يمشن عيالات بعد الولادة الاولى وكثيراً ما يهلكن فيها فقد بلغ عدد من يموت منهن في النفاس اكثر من ثلاثين في الالف وكما نلزم العناية بصحة المرأة لوقايتها من المرض والموت كذلك يلزم العناية بصحتها حرصاً على صحة اولادها ووقايتهم من العلل. لان ما يمرض على مزاج الام وما يكون فيه من الاستعداد للرض ينقل بالوراثة الى الاولاد

واما من جهة التربية الادية فلان الطبيعة قد اختارت المرأة وندبها الى المحافظة على آداب النوع فسلها زمام الاخلاق واتنتها عليها. فهي التي تضع النفوس وهي ساذجة لاشكل لها تصورها في اشكال الاخلاق وتشر تلك الاخلاق بين اولادها فيقولونها الى من يتصل بهم فتصبح اخلاقاً للامة بعد ان كانت اخلاقاً للعائلة كما كانت اخلاقاً للعائلة بعد ان كانت اخلاقاً للام. هذا يدلنا على ان المرأة الصالحة هي أقم لتوعها من الرجل الصالح والمرأة الفاسدة هي أضر عليه من الرجل الفاسد. ولعل هذا هو السبب في ما قر في نفوس الناس في كل زمان من أن الرذيلة الواحدة اذا تدنس بها المرأة حطت من قدرها اكثر مما تحط من شأن الرجل لو تدنس بها وان الفضيلة تعل من شأن المرأة ما لا تعل من شأن الرجل

في علنا الكلام على القسم الاخير من التربية وهو التربية العقلية. هذه التربية هي عبارة عن تعلم العلوم والفنون والثاية التي تربي اليها هي ان يعرف الانسان ما في الكون من الموجودات حتى اذا عرف ذلك على حقيقته امكنه ان يوجه اعماله الى ما يعود عليه بالنفع ويتبع بلذة المعرفة فيعيش سعيداً

ولا تحصل المرأة على المطلوب من هذه التربية العقلية بتعلمها القراءة والكتابة واللغات الاجنبية بل تحتاج ايضاً الى تعلم اصول العلوم الطبيعية والاجتماعية والتاريخية لكي تعرف النقاين الصحيحة التي ترجع اليها حركات الكلمات واحوال الانسان كما انها تحتاج الى تعلم مبادئ قانون الصحة ووظائف الاضاء حتى يمكنها ان تقوم بتربية اولادها

كلها ما عدا التيد والاهتمام . والحلم يدرك ويتذكر ويستدل ولكنه لا يقين ولا يطبق ولا يدقق في القياس والتطبيق لان هذا التدقيق يقتضي جهداً عبقاً . فحسان البناح ضجة استتاج بسيط لا يقتضي عناء ولكن الحكم بأنه نباح كلب لا يكون إلا بعد إعمال الفكر وإعمال الفكر هو الذي ينقص الحلم ويده يمتاز عن المنقظ

وبهذا الفرق الجوهرى فهم مزايا الاحلام أي مميزاتها فيهم مثلاً لماذا تكون غير منسجمة وقتها يلاحظ فيها امتداد الزمن او توالي الحوادث بحسب أهميتها

فعدم الاسجام سهل التعليل لان الحلم لا يقتضي الانطلاق التام بين ما يشعر به الحلم وما يتذكره بل كثيراً ما يطبق الحلم امرأ على أمر مخالف له أو يطبق اموراً متخالفة يأتي بها من ذاكرته على أمر واحد يشعر به . مثال ذلك أن ترى عيناه تقطاً يضاء في بقعة خضراء فيصورها مرجاً أخضر فيه أزهار يرض او طاولة البلياردو وعليها كرات العاج أو نحو ذلك مما يجتمع فيه الاخضر والايض ويكون محفوظاً في ذاكرته . وتفسر هذه الصورة من الذاكرة وكل منها يحاول ان يلمص بالتأثير الذي دخل ذهنه فقد تتوالى عليه الواحدة بعد الأخرى فيرى أولاً مرجاً ثم طاولة بلياردو وقد يظهران دفعة واحدة حتى لا يرى فصلاً في الزمن بين الصورة الاولى والثانية فتكون الصورة مرجاً وطاولة بلياردو في آن واحد وعلى هذا النمط يحدث كثير من الاحلام الغريبة التي ينتقل فيها الشيء إلى غيره حالاً وإذ يرى العقل ذلك يحاول إيضاحه فيزيده غموضاً

ولهذا السبب عينه يقني الزمان من كثير من الاحلام فيرى الحلم في ثوانٍ قليلة حوادث لو تذكرها في يقظته لفضى في تذكرها يوماً كاملاً لأنه وهو في اليقظة يعيش مع غيره من الناس فيرى ما يجري له شيئاً بحسب اتصاله بهم كأن ساشته لغيره بمثابة ترس ساعة له استان كثيرة تقسم بها حركة زئبلكها إلى ساعات ودقائق بدلاً من تركه يفعل في وقت واحد . وهذا الترس المسنن لا وجود له في الحلم فلا محل فيه للتحكيم والتدقيق وما يقتضيه من الجهد والعناء ولذلك لا يضطر الحلم ان يطبق ما في نفسه على ما هو خارج عنه

بقي ان نفل كيف ان هود العقل يجعل الحلم يقدم بعض صور الذاكرة على البعض الآخر مع أنها تطبق كلها على الحالة التي يكون فيها على حدة سوى من الآراء انشاعة اتنا نحلم في الليل بما كان يشغل انكارنا في النهار خاصة . وهذا يصق احياناً ولكن ان كانت الافكار التي فخر فيها في النهار تبقى معنا ونحن نيام فذلك دليل على اتنا

لا تكون ناعمين النوم الحنيني المريح بل النوم الذي نستيقظ منه متعبين كما تألمتم
 اما الاحلام التي نعلمها في النوم الطادي المريح فتكون غالباً مقترنة بالافكار التي خطرت لنا
 خطوراً وبالخواص التي مرت بنا ولم نتم النظر فيها . وإذا حلنا به حدث لنا في يومنا فانقلب
 ان يكون بالتطيف منه لا بلهم فذا كنت في شارع منتظراً مركبة اركب فيها ولما دنت مني
 اجفلت عن غير قصد وتغير دواعي خرقاً من ان تصدمني مركبة اخرى فقد احلم تلك الليلة ان
 مركبة صدمتي ومرة عجلمها علي ولكنني لا احلم بالمركبة اذا صدمتني فضلاً . واذا سهرت على
 مريض مشرف على الموت وخطر يالي انه قد يشفي ولو كان الرجاء من شفائه مقطوعاً ثم تمت
 فقد احلم انه شفي . والحلم بالشفاء اكثر وقوعاً من الحلم بالموت ولو كان المريض على حافة القبر
 ومن المحقق ان الامور التي يراها الانسان في حلمه هي في الغالب الامور التي تمر في باله وقت
 اليقظة مروراً لا التي يتم نظره فيها ويطلق قلبه عليها . ولا غرابة في ذلك لان الذات التي يحلم
 هي الذات التي لا هم ولا تسي والتصور التي يجسها من الذاكرة هي الصور التي تدخل الذاكرة
 من غير تعب ولا عناء



أما إذا كان النوم عميقاً جداً فيحتمل أن تكون أحلامه غير ذلك ولكن هذه الاحلام
 نسي عادة ولا يتذكرها المرء بعدما يستيقظ وإذا تذكر شيئاً منها شعر كأنه أت من مكان
 حقيق وزمان بعيد دلالة على انه تذكر في حلمه اموراً مرت عليه في صباه ولما استيقظ حاول
 ان يسرد بهجة الصبا فقالت له هيات

قالى أحلام هذا النوم العميق يجب أن يتجه بحث علماء النفس لكي يكتشفوا كيف تتجلى
 محفوظات الذاكرة بعد أن يكون صاحبها قد نسيها ولكي يعلموا الامور التي تدخل في دائرة الباحث
 النفسية . ولا أجسر أن أبدي رأياً في هذا الموضوع ولكنني لا أحجم عن الإعجاب بالعبارة
 والهبة اللتين يمل بها أعضاء جمعية الباحث النفسية فإن كان التلبي توتر في أحلامنا فمن المحتمل
 أن يكون أشد تأثيرها بنا ونحن نأتمون هذا النوم ولكنني أكرر ما قلته سابقاً وهو أي لا
 أستطيع أن أبدي رأياً في هذا الموضوع . وها قد سرت معكم على قدر استطاعتي فأقف عند
 غبة الجهولات وستكون أهم أعمال علماء النفس في هذا القرن البحث في أعماق أسرار الوجدان أو
 فيما نسيه بالوجدان الباطن ولا شبهة عندي أن الباحثون سيكتشفون فيه مكتشفات عجيبة لأنقل
 أهميتها عن أهمية ما اكتشفته مدة القرون الماضية كلها في العلوم الطبيعية هذا ما أرجوه وأتمناه
 وأجمله مسك الختام